

## الفصل السابع

### ﴿ الجلسة الثانية ﴾

العلم ومشاكله

وفي الليلة التالية ازدحمت الحديقة بالاقدام ازدحاماً شديداً . ذلك ان الخطب التي أقيمت امس حتمت السكان ولم يكن في المدن الثلاث في ذلك النهار حديث في غيرها . وقد حدثت بعد العصر عدة قنن في مدينة المال بين العمال واصحاب الاعمال فاضطرت الجنود الى المداخلة اعادة للنظام . ولذلك كان عدد الجند حول الحديقة في هذه الليلة اكثر منه في العادة

ولما انتظم عقد الاجتماع وجلس الشيخ الرئيس في كرسيه وعلى وجهه لوائح القلق واشتغال البال انصت الجميع . فقال الشيخ الرئيس

— كملوا يا اولادي مباحثتكم في مصالحكم واذكروا وصيتي لكم بالهدوء والسكينة وكانت هذه الجلسة مخصوصة بالعلم ورجاله . فنهض زعيم كبير من صفوف رجال الدين وابتدأ يخطب في الجمع بصوت جهوري . فقال

دعوى اهل الدين

ايها السادة

— لما كنت اصغي الى الخطب الثلاث التي اقيمت امس كنت اظنني في حلم . لان الخطباء الثلاثة بعد كل ما ذكروه في اثناء كلامهم لم يدخلوا في اساس الموضوع . فكل كلامهم كان خارجاً عن دائرة المسألة

ان المسألة الكبرى التي هي مسألة المسائل في الهيئة الاجتماعية هي « كبح هوى الانسان » اي وضع شكيمة تضبط شهواته واهواءه لان الاجتماع مستحيل من غير هذه الشكيمة .

وهذا هو السبب في نزول الاديان وقيام المهذبين والمرشدين ليعلموا البشر انهم لا يكونون بشراً الا اذا كسروا حدتهم وقللوا طمعهم وسكنوا اهواءهم وسامحوا المسيئين اليهم . الى

غير ذلك . ولكن تعالوا وانظروا ماذا يصنع اهل الكفر والضلال

فصاح صائح من بين صفوف اهل العلم

— لم يصنعوا شيئاً سوى انهم نقلوا الجنة من السماء الى الارض  
فاتمة الخطيب كلامه دون ان ينتبه اليه قائلاً

— انهم قاموا يعلمون الناس الانفكاك من هذه القيود الاديبة الجميلة التي حفظت الهيئة  
الاجتماعية الى اليوم . فانهم يجرحون الضعفاء على ان يمتنعوا بالحياة كالاقوياء . ويعلمونهم  
ان ذلك من حقهم لانهم الاكثرية . وان اللذات الموعودين بها فوق تعويضاً لهم عما  
فاتهم منها هنا انما هي لذات وهمية . وبهذا التعليم ايها السادة يهدمون نظام الاجتماع الذي  
يزعمون انهم حافظوه ويشيرون كل ما في نفس البشر من الاحقاد والفضائل والشهوات الحيوانية

فصاح حينئذ صائح من صفوف العمال

— كم اعطاك اهل المال لتقوم مدافعاً عنهم

وصاح صائح آخر منهم

— لا عتب علينا نحن العوام اذا كنا نطلب التمتع بجحيرات الارض ما دام رجال الدين

قد سبقونا الى ذلك منذ ازمان

فاتمة الخطيب كلامه قائلاً

— فاهل الضلال هم السبب في كل هذه الفتن وهذه الاضطرابات . ولست اسميهم

« اهل العلم » لان العلم الحقيقي براء منهم . وها في صفوفنا نحن كثيرون من اهل العلم

الحقيقي ينكرون تلك البدع المهلكة

« ايها السادة . ان بابل ونيوى وسدوم وعمورة انما خربت وُصِب عليها غضب الله

لانها اطلقت اهواءها وشهواتها من كل قيد . فهل ترومون ان يصينا ما اصاها

« هوءاء المصلحون اصحهم الله يريدون الاشتراكية . اي يريدون هيئة اجتماعية

فيها الجميع اخوة وتكون ادارتها تهتم بالجميع . فعافاكم الله ايها المقلدون الذين يُسمون

انفسهم مخترعين . الا ترون ان هذه الهيئة هي هيئتنا نفسها . فتعالوا اذاً الينا . ولكنكم لا

تأتون لان اشتراكنا نحن مبنية على المحبة والرفق لا على العنف والغضب . نحن نعتبر

الكبير فينا صغيراً والصغير فينا كبيراً . واما انتم فتريدون ان تكونوا كلكم كبراء . نحن

نجمال الجميع ونساوي بين الجميع لنرضي الجميع . واما انتم فتريدون جعل الفقراء اغنياء

والاغنياء فقراء . نحن نطلب خيرات الدنيا لنفرقها على غيرنا واما انتم فتطلبونها لتدفنوها في بطونكم

« فالفرق بيننا وبينكم في المسألة الاقتصادية كالفرق بين الخير والشر والبياض والسواد .

انتم تحرضون وتهيجون ونحن نسكن ونهدد . والله من اعالي السماء يعلم ايننا انفع للهيئة الاجتماعية

فصاح حينئذٍ صائح من بين العمال  
 - هذا افتخار من يكبح جماح البقرة ويمسكها لمن يريد حلبها  
 وصاح صائح من فريق اهل العلم  
 - نراكم صيرتم تفتشرون بفوائد مبادئكم بدل الافتخار بصحتها  
 فاجاب الخطيب - ان المفيد يكون صحيحاً دائماً  
 فصاح واحد آخر من فريق العلم - ان دين بوذه وكونفوشيوش وبرها صحيح ايضاً لانه مفيد  
 فاستشاط الخطيب غضباً حينئذٍ وصاح مخاطباً اهل العلم  
 - كل المذاهب خير من مذهبكم . ونحن سواء كنا مسيحيين او مسلمين او اسراييليين  
 او بوذهين او براهمه او كونفوشيوشيين كنا على اتفاق ضد مبادئكم المهلكة  
 فصاح صائح آخر من فريق العلم  
 - هذا أفتراء فظيع علينا فاننا نؤمن بالله مثلكم  
 فاشتد غضب الخطيب فقال  
 - نعم تؤمنون بالله لتخذوا هذا الايمان ستاراً تنشرون وراءه مبادئكم . وهل تحسبوننا  
 بلهياً الى هذا الحد حتى نكتفي منكم بالايمان بالله . فاما ان تؤمنوا كما تؤمن نحن اوتكونوا  
 جاحدين . هل تؤمنون برسالات الرسل والانبياء والاقانيم الثلاثة وعلم الله بكل شيء  
 ومقدرته على كل شيء والبعث والحساب في عالم آخر فيه جنة وفيه نار . كلا انكم لا  
 تؤمنون بذلك . ومع ذلك تنادون « ان علمكم موافق للدين » . وعلمكم لا يكون . وافتقار الدين  
 عندنا الامتى اضاف الى ايمانه بالله الايمان بهذه الامور لانها هي الدين . فتدجيلكم اجيزوه  
 بعد الآن على السذج لاعلينا  
 فقطع كلامه احد رجال العلم قائلاً  
 - هل تعلمون سياستكم هذه الى اي هاوية تجركم  
 فاجاب الخطيب  
 - كل الهاويات عندنا مقبولة بالنسبة الى هاويتكم . انكم تهديمون ما بيننا في عدة  
 قرون . انكم تضعون الهيئة الاجتماعية من اساسها . فعلينا محاربتكم بكل سلاح  
 « ولكن خبرونا ماذا تريدون ان تضعوا بدل الشيء الذي تطلبون هدمه . لاريب  
 انكم تعلمون المبدأ القائل « لا يمكن في الاجتماع هدم شيء الا متى امكن وضع شيء  
 آخر مكانه يقوم مقامه » فماذا تضعون موضع الدين . ا تضعون العلم ؟ لله ما

لله ما اسخف احلامكم . اذهبوا وقولوا للناس وخصوصاً للشعب المسكين : يجب عليكم ان تحبوا قريبكم من اجل العلم ، وتصنعوا الخير من اجل العلم وتعتقوا عن مال غيركم اكراماً للعلم . ولا تصنعوا شراً في السر ولا في العلانية اكراماً للعلم — وحينئذ تسمعون الجواب . ولكن وبل للهبة الاجتماعية في ذلك اليوم الذي تقطع بيدها الاثيمة فيود خوف الله ورعية الدين تجرب هذه التجربة الهائلة

فقطع هنا كلامه . خطيب العلم السابق قائلاً  
— هل تسمح لي ان اجيبك الآن عن هذا الكلام  
فقال الخطيب

— اذا كان جوابك وجيزاً فلا بأس  
فقال المعترض

— معاذ الله ان نروم هدم الدين كما تفكرون علينا وانما نروم هدم الاوهام والخزعبلات في الدين . فلماذا تجعلون هذه قسماً منه . واول هذه الخزعبلات قولكم ان الانسان لا يمكن ان يعبد الله ولا ان يفهم الكتب الدينية الا بواسطة كاهن او شيخ . وبذلك تضمنون انفسكم بين الله وبين عبادته رفعا لشانكم وطاماً للفائدة لكم . وهذا ما جعل بعض رجال الدين في بعض خطبه العمومية يفضل الذبيحة اليومية في الكنيسة على كل ما في الديانة المسيحية من الفضائل وروح الكمال . فنحن اذا حاربناكم فانما نحارب هذه السيطرة على عقول الناس . اي نحارب اتخاذ المبدأ سبيلاً للمصلحة

» اما ماذا نضع موضع الدين فهذه مسألة يجيبكم عنها علماء الفلسفة الوضعية او الحسية . فانهم يقولون ان للبشر ثلاثة اطوار : طور الطفولية وهو الاعتقاد بان العالم محكوم بالارواح والآلهة . وطور الشباب وهو البحث في ما وراء الطبيعة . وطور الرجولية وهو طلب الهيئة الاجتماعية «نفع الناس» بناءً على «الواجب» ومخبة الناس والعقل والمصلحة المتبادلة . وهم يقولون ان البشر متى وصلوا الى هذا الطور صاروا يعملون ما يجب عليهم عمله من غير ارباب ولا تشويق بل بسائق فطرتهم ومصالحهم المتبادلة المحصورة في هذه العبارة « يجب ان لا اصنع بالناس الا ما اريد ان يصنع الناس بي »

فصاح الخطيب

— اذا تكون قصارى فلسفتهم ايها السادة ان ياء كل الناس ويشربوا ويتاموا ويعيشوا معيشة الخنازير . هذه هي « المعيشة الوضعية » وكثيرون من البشر هذا شأنهم

اليوم . وهم يضيفون الى ذلك التمتع بكل شهواتهم واهوائهم الحيوانية . فهل يكون في المستقبل ايها السادة هؤلاء الحيوانيون العاشقون بكل شيء مصيدين والذين صرفوا حياتهم بالعفاف والزهد والفضيلة والخير والصلاح مخطفين . هل المستقبل سيدبح الفضيلة هذه الذبيحة الهائلة بان يثبت ان اولئك كانوا اقرب الى الحقيقة من هؤلاء . اذا ما انقطع الحاضر وما افبح المستقبل . وياها وياها الفناء . يا حجييم العدم . ابتلعينا منذ الآن وارمحيننا من حاضر فظيع ومستقبل قبيح

« ولكن لا لا . ان الله موجود ايها السادة » وكل ما في الطبيعة يدل عليه ويشير اليه . ولا ينكره الا الاشرار الذين يخافون عدله . ونحن لا نعلم هل يوجد في العالم بشر تكفيهم تلك المعيشة الخنزيرية المجردة عن كل عاطفة انسانية كريمة وكل جنوح الى ما وراء الطبيعة ولكننا على ثقة من ان في العالم قوما لا تكفيهم هذه المعيشة الحيوانية . بل ان نفوسهم الشريفة وفطرتهم السامية تمنح دائماً الى خالق الطبيعة وواهبها قواها . الى الآخرة التي هي وطننا الحقيقي . الى الحياة الروحية التي هي الحياة الحقيقية . وبناءً على ذلك يكون علمكم وفلسفتكم مما يرضي قسماً من الانسانية فقط . والقسم الثاني لا يستغني عن علمنا وفلسفتنا اي عن مبادئنا الدينية . ولذلك يكون الدين من حاجات قسم كبير من الناس لاختلاف قلوب الناس باختلاف فطراتها ولان اصوله مقروسة في النفوس لا في الكتب والاوراق

فصاح به المعترض

— ولكن هذا الفريق من الناس بقرض متى دخلت الانسانية في الطور الثالث من

اطوار الفلسفة الوضعية التي تقدم ذكرها

فصاح الخطيب ضاحكاً ومتهمكاً

— انتظروا فاننا معكم منتظرون . ولكن على افتراض ان هذا القول صحيح هل يجوز

جرح عواطف النفس بمهاجمة معتقداتها قبل حصول هذا التغيير ودخول الانسانية في طور

التحول عما بين يديها

فاجاب المعترض

— نحن نجاهد كالرسل والانبياء . ولولا هذه المجاهدة لما تقدمت المبادئ . وهل

تظنون ان المسيحيين والمسلمين لو انتظروا حصول التغيير في الارض من مجرد سير المبادئ

كانوا قد وصلوا الى ما وصلوا اليه

فصاح الخطيب وقد فرغ صبره

— بش هذا الجهاد الذي تقومون به . فانكم تهدمون به كل شيء محبوب الينا . واي شيء سلم من هدمكم . لقد هدمتم الدين وهدمتم الوطن وهدمتم الجيش وهدمتم العائلة وهدمتم العادات الجميلة المقدسة

فضحك هنا كثيرون من فريق العلم وقال احدهم  
— انك نتسلح بالمبادئ، الوطنية وبالذفاع عن الجيش تقوية لحجتك  
فقال الخطيب

— وهل تنكرون انكم افسدتم الفكرة الوطنية وشوّهتم مبادئها المقدسة . اما نستعكم دائماً لتعمون الناس ان البشر اخوان وان الحدود يجب ان تُزال من بين بني الانسان . فما معنى هذا عندكم . اليس معناه تسليم الوطن للاجانب . ثم اما انتم الذين تدعون الى نزع السلاح وفسدكم من ذلك اضعاف جيشنا لكي يصبح غير قادر على مقاومتكم يوم تريدون انفاذ اغراضكم . اما انتم الذين تحرضون الجنود على الفرار من الخدمة العسكرية لانها عارٌ في مذهبكم لقيامها على حمل السلاح وسفك الدماء وتشنرون المشورات بين صغارهم ليعصوا قوادهم ولا يكبحوا جماح العمال في اوقات الاعتصاب . اما انتم الذين ادخلتم الطلاق في العائلة فضعتم به اساسها واساس الهيئة الاجتماعية ثم تريدون الان توسيع نطاقه باعطاء كل واحد من الزوجين حق الطلاق حينما يطلب ذلك وان لم يرض به الثاني . اما انتم الذين تدعون الى اباحة الزواج من غير زواج والعياذ بالله اي من غير عقد رسمي سوى رضى الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل ومنى شاءا يفترقان كما اجتماعا

فصاح حينئذ كبير من فريق رجال العلم  
— يظهر ان هذا الكذب لا حد له عندكم فانكم تنسبون الينا كل اعمال الاشرار كيين  
مع علمكم اننا براء منها  
فقال الخطيب

— ولكن ائليست هذه كلها نتائج مدنيتكم هذه . انما اردنا ان نظهر الامة الهاوية التي تجرؤون البلاد اليها اذا بقيت لكم الحرية . فانكم تعطلون عقائد الامة يجرها الى الاحلاد . وتشيرون الحرب الاهلية بتحريضكم الصغار على الكبار والضعفاء على الاقوياء . وتفترقون الجامعة الوطنية والدينية بدعوتكم الى الاخاء والتعاون الانساني . وتضعفون قوة البلاد بمقاومة جيشها واهانتها في كل يوم . وتهدمون الهيئة الاجتماعية والفضائل المدنية بجواربتكم العائلة ووضعتكم الفاحشة موضع الزواج المقدس اللطيف

« هذه ثمار اعمالهم ايها السادة . ومن ثمارهم تعرفونهم . فلا يفتخروا بعد الآن بانهم حفظة « النظام المضائق » مع انهم مضعوه . ان النظام يقتضي قبل كل شيء « انكار الذات » اي ان يتنازل الانسان عن شيء من حقوقه في سبيل المصلحة العمومية اكراماً للذين يخدمون وينفعون . فالرؤساء والحكام والاعنياء والكبراء يتفانون في الخدمة العمومية ونفع الامة ولذلك يجب على افراد الامة ان ينكروا ذواتهم قليلاً ويتركوا لهم شيئاً من حقوقهم في مقابلة متاعهم ومسئوليتهم . ولذلك تكون المساواة المطلوبة بين هؤلاء وافراد الامة عبارة عن وهم وخيال . اما المساواة الممكنة الحقيقية ايها السادة فهي تكون في السماء لدى الله لا في الارض بين الناس »

وهنا فرغ الخطيب من خطابه وجلس وهو يمسخ العرق عن جبينه . ويظهر ان الغيظ الذي كان في اثناء كلامه يمحى في صدور العمال والغلاة من انصارهم قد طغح حين سكوت الخطيب فهاجوا وماجوا وصرخوا صرخة واحدة قائلين « فليسقط الظالمون » وصاح احدهم « قلت ان المساواة وهم وخيال فالوهم معتدك والخيال في دماغك اما المساواة فسحقها او موت » وصاح اخر « ان قولك وهم وخيال ينقض كل الاديان ولكن لا يهكم دينكم ما دامت مصلحتكم مصونة » - فرد عليهم حينئذ فريق من رجال المال ورجال الدين وعلت الضوضاء واحتدم الجدل وتماسك فريق منهم بعضهم ببعض وتضاربوا فعمت الفتنة الحديقة كلها واضطرت الجنود الى المداخلة حفظاً للامن . ولكن الجنود لم تستمكن من ذلك الا بشق النفس لعظم الاضطراب . ثم انجبت الفتنة عن جرمين حمالا الى المستشفى بجالة النزاع . واخرجت الجنود الناس من الحديقة وفرقتهم في المدن الثلاث لان التماس كان شديداً

## الفصل الثامن

﴿ الجلسة الثالثة ﴾

الدين ومشاكله

وفي اليوم التالي اتبه السكان على اصوات جلبه العمال واجتماعهم في الشوارع والاسواق افواجاً افواجاً لاعضاءهم وتركهم العمل بتاتاً في ذلك اليوم . فتفاقم الخطب وازداد الاضطراب .